بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعين به ونستغفره ، ونعوذُ بالله تعالى من شرورِ أنفسنا وسيئاتِ أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمدًاﷺ عبده ورسوله

وبعدُ..

فإن أصدق الحديث كتابُ الله تعالى، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشر الأمورِ مُحدثاتها، وكل مُحدثةٍ بدعة، وكلَ بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار ثم

أما بعد ...

تكلمنا في المرة السابقة عن توحيد الربوبية وذكرنا معناه في اللغة ومعناه في الاصطلاح، وذكرنا أدلته من الكتاب ومن السنة، ووقفنا عند دلالة العقل.

يقول المصنف:

ج- دلالة العقل:

دِلالة ودَلالة بالكسر والفتح لغتان.

دل العقل على وجود الله تعالى وانفراده بالربوبية وكمال قدرته على الخلق وسيطرته عليهم، وذلك عن طريق النظر والتفكر في آيات الله الدالة عليه، وللنظر في آيات الله والاستدلال بها على ربوبيته طرق كثيرة بحسب تنوع الآيات وأشهرها طريقان.

إذن هو يقول أن العقل سيدل على ربوبية الله عز وجل،

وربوبية أي أن الله عز وجل هو الرب يعني هو المتفرد بمعاني الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماته والضر والنفع والمتفرد بالمِلك والمُلك التام وهو

المتفرّد بالأمر والنهي والسيادة والتشريع سبحانه وتعالى.

كيف يدل العقل على أن الله هو الخالق وهو الرازق أو أن هو مُنشيء هذا الكون؟

يكون بطريقة النظر والتفكّر في آيات الله.

وسيبدأ هنا يذكر آيات الله التي معنا كم القسم.

الطريق الأول: النظر في آيات الله في خلق النفس البشرية وهو ما يعرف بـ دلالة الأنفس.

أولاً آيات الله تنقسم إلى قسمين كبيرين:

- آيات شرعية
- أيات كونية

الآيات الشرعية: هي التي شرعها الله عز وجل لعباده الأمر والنهي والإخبار وما إلى هذا على ألسنة الرسل، هذه تسمى آية شرعية.

الآيات الكونية: هي مخلوقات الله عز وجل.

والآيات الكونية تنقسم إلى قسمين:

آيات آفاقية تتعلق بالشمس والقمر والآفاق والنجوم وغير هذا،

وآيات نفسية.

فيقول:

الطريق الأول: النظر في آيات الله في خلق النفس البشرية وهو ما يعرف بـ دلالة الأنفس.

فالنفس آية من آيات الله العظيمة الدالة على تفرد الله وحده بالربوبية لا شريك له، كما قال تعالى:

﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]،

في أنفسكم العبرة، آية دلالة أفلا تبصرون هذا الأمر.

وقال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾[الشمس: ٧]،

ولهذا لو أن الإنسان أمعن النظر في نفسه وما فيها من عجائب صنع الله لأرشده ذلك إلى أن له ربا خالقا حكيما خبيرا؛ إذ لا يستطيع الإنسان أن يخلق النطفة التي كان منها!!!

وهي أول وحدة للوجود هو الحيوان المنوي وهو الذي يلتقي مع البويضة وتعمل النطفة وبعد ذلك العلقة التي تعلق بجدار الرحم، وبعد ذلك تنمو تلك العلقة فتصبح مضغة، وبعد ذلك تتخلق هذه المُضغة.

فالإنسان لا يقدر على أن يخلق إبتداءاً هذا المني، ولا يخلق البويضة، فضلاً عما بعد ذلك.

إذ لا يستطيع الإنسان أن يخلق النطفة التي كان منها!!!

أو أن يحولها إلى علقة، أو يحول العلقة إلى مضغة، أو يحول المضغة عظاما، أو يكسو العظام لحما.

والحقيقة هذه هي ليست فقط الوحيدة في محل دلالة الأنفس،

بل الجانب المعنوي في التفكّر في الأنفس أشد، والجانب المادي الذي هو تطور الخلق، كان أصل الإنسان نطفة بعد ذلك علقة وبعد ذلك مُضغة إلى غير ذلك.

لكن الجانب المعنوي النفوس الطيبة نفوس الأنبياء والصديقين والشهداء نفوس المصلحين والعلماء الربانيين والأبرار،

كيف أن الله عز وجل أودع هذا الإنسان قلب يسع العالم ويحمل الخير والرحمة والبر للناس، آية!!!

وإنسان آخر نفس الهيئة ويكون ممتلىء بالشرور والمفاسد والبغض والتدمير، سبحان الله!!!

آية من آيات الله عز وجل.

آية في نفسك أنت شخصياً، كل واحد كيف أنه يجد نفسه مقبلاً على الله عز وجل ومحباً له، مُقبل على الطاعة مقبل على الخير،

وفي أوقات أخرى يجد نفس الإنسان نفسه مدبراً عن الخير، ومحجماً عن الطاعة وفيها فتور وكسل عن فعل الواجبات أو فعل الطاعات.

إذن تفكّر الإنسان في نفسه باب عظيم جداً من أبواب الإيمان، واليقين في الله عز وجل والتعلّق بالله سبحانه وتعالى.

﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

الطريق الثاني: النظر في آيات الله الآفاقية وهي في خلق الكون وهو ما يعرف بـ (دلالة الآفاق)،

وهذه كذلك آية من آيات الله العظيمة الدالة على ربوبيته، قال الله تعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

العلماء لهم فيها تفسيرين:

التفسير الأول: سَنُرِيهِمْ الخطاب هنا الهاء ضمير عائد على مشركي مكة،

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ أي ستُفتح بلاد المسلمين وتُفتح بلدان العالم للمسلمين ويدخلها الإسلام.

وَفِي أَنفُسِهِمْ أي سيشهد كفار مكة أنفسهم آية في قتلهم يوم بدر.

هذا هو التفسير الأول.

التفسير الثاني: وهو الأظهر والأليق بالمعنى:

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وهو في مرمى البصر، حيث ما انتهى بصره فهذا هو الأفق،

في الأفق تنظر إلى الأرض كيف مُدت وسُطحت والسماء كيف رفعها بغير عمد ترونها، والنجوم جعلها الله سبحانه وتعالى زينة للسماء وتدل الخلق على الإتجاهات والمواقع وما إلى هذا من الآيات.

ويكفي للإنسان فقط أن ينظر إلى السماء وينظر إلى عِظَم خلق هذه السماء،

ويتذكر قول الله عز وجل:

{لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}

[غافر: ٥٧].

فتفكّر كيف خلق السموات والأرض!!

وانظر إلى هذه السماء وانظر إلى من خلقها، لابد أن يكون أكبر منها وهو أجلّ سبحانه وتعالى.

فهذا مما يُثمر في القلب إيماناً ويقيناً.

ومن تأمل الآفاق وما في هذا الكون من سماء وأرض، وما اشتملت عليه السماء من نجوم وكواكب وشمس وقمر، وما اشتملت عليه الأرض من جبال وأشجار وبحار وأنهار، وما يكتنف ذلك من ليل ونهار وتسيير هذا الكون كله بهذا النظام الدقيق؛

دله ذلك على أن هناك خالقا لهذا الكون، موجدًا له مدبِّرًا لشؤونه،

وكلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات وتغلغل فكره في بدائع الكائنات علم أنها خُلقت للحق وبالحق،

وأنها صحائف آيات، وكتب براهين ودلالات على جميع ما أخبر به الله عن نفسه وأدلة على وحدانيته.

وقد جاء في بعض الآثار أن قوما أرادوا البحث مع الإمام أبي حنيفة في تقرير توحيد الربوبية.

هذه القصة قصة نافعة جرت للإمام أبي حنيفة رحمه الله وفيها فائدة، بعض الناس يتهيأ له أن الناس التي حُرمت من الذكاء حُرمت العبقرية وحُرمت الاتخاذ العقلي أصبحوا أهل سنن، والناس الأذكياء أصحاب العقول أصبحوا

المعتزلة،

خطأ!!

فهم لم يجمعوا الأغبياء وجعلوهم أهل السنن،

الناس قليلة العقل هم أهل السنة!!!

هذا خطأ، لكن أهل السنة أو أئمتهم هم أذكياء العالم الذين وُفِّقوا وهُدوا إلى طريق النبي ﷺ ومن تبعه،

والآخرون أذكياء للعالم أيضاً لكنهم حُرِموا هذا الهدى وهذا التوفيق.

انظر إلى الإمام أبو حنيفة وهو عنده هذا البصر النافذ وهذا العقل الوافر وهو يناقش مع بعض الناس كان يقال أنهم فلاسفة من الهند وكان يقال أنهم أنُاس من المسلمين تأثروا بمذهب هؤلاء الفلاسفة الذين ينكروا الله عز وجل وينكروا أن يكون للكون خالق، شيء معاصر بالنسبة لنا مثل "الملحدين" يقول لهم قبل المناظرة:

«أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في دجلة (نهر دجلة) تذهب فتمتلئ من الطعام وغيره بنفسها وتعود بنفسها، فترسو بنفسها وترجع، كل ذلك من غير أن يديرها أحد؟».فقالوا: «هذا محال لا يمكن أبدا.

فقال لهم: إذا كان هذا محالاً في سفينة فكيف في هذا العالم كله، علوه وسفله؟».

العقل يقول أنه إذا كان مستحيل في سفينة فما بالك بالعالم كله!!

فنبه إلى أن اتساق العالم ودقة صنعه وتمام خلقه دليلٌ على وحدانية خالقه وتفرده.

هذا الكلام دلالة على توحيد الربوبية، فهناك أدلة من القرآن والسنة والعقل.

سنضيف دليل رابع هو لم يذكره هنا ولكنه هام جداً العلماء يذكروه يسمّى :

دلالة الفطرة

قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ

﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢- ١٧٣]

هذه آيات تقص علينا مشهد في الزمان الأول بعد أن خَلق الله آدم، وجاء شرح هذه الآيات في أحاديث صحاح منها ما ورد في الصحيح ومنها ما ورد في السنن بإسناد صحيح؛ أن الله عز وجل لمّا خلق آدم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه كل نَسَمة هو خالقها إلى يوم القيامة فكانت في بعض الروايات أنهم كانوا في كفه كالذر، فالنسمة هي الروح، على هيئة الذر على هيئة النمل،

أو الحبات الدقيقة ثم استنطقهم سأل هذه الأرواح أشهدهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ أي لئلا تقولوا يوم القيامة {إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ} .

{أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ} فهذا اسمه الميثاق،

{ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلاَ يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ} [الرعد: ٢٠]

في تفسيرها تجده يقول ينقضون الميثاق الأول من ميثاق التوحيد ولا ينقضون

الميثاق وهو العهود مع الخلق ومع البشر.

كان نتيجة هذا الميثاق الذي لا يتذكره أحد أثر هذا الميثاق ما يسمّى بالفطرة،

بعد هذا الميثاق وُضع في نفس الإنسان شيء يسمى الفطرة،

والفطرة من أكثر الأشياء التي تريد أن تقوم بعمل بحث عنها وتتوسع فيها،

لها تعريفات كثيرة جداً والجمع فيها بين الأحاديث، والعلماء لهم فيها أقوال

عدة، يعني أظن من المواضع التي بها تحرير جيد كلام "ابن عبد البر في التمهيد " على حديث:

" ما من مولود إلا يلد على الفطرة . فأبواه يهودانه وينصرانه ويشركانه ، فقال رجل : يا رسول الله ! أرأيت لو مات قبل ذلك ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين "

الراوي:أبو هريرةالمحدث:مسلم - المصدر:صحيح مسلم- الصفحة أو الرقم:٢٦٥٨ خلاصة حكم المحدث:صحيح

عمل فيها بحث جيد جداً وهو ليس بحث بالضبط،

إنما هو استوعب الكلام في هذه المسألة في مذاهب العلماء وأقوالهم،

وأيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية له فيها تحرير جيد في الفتاوى وغيره من كتب

التفسير.

خلاصة الكلام يقول شيخ الإسلام ابن تيمية "أن الفطرة هي قوة علمية في النفس".

مثل قدرتك على الكلام، قدرتك على التفكير، قدرتك على الاقتناع، قدرتك على التصور، كل هذا قدرة وقوة داخلية في النفس.

فيقول: "هي قوة علمية في النفس تستلزم الإسلام بذاتها ما لم يمنع منها مانع".

أي مثلاً إذا أنا أتيت بمذياع أي راديو، ووضعت هذا الراديو هكذا وضبطت إذاعته على القرآن الكريم وقمت بتوصيل الفيشة،

وهناك إرسال من إذاعة القرآن ما الذي سيحدث؟

يلتقط إذاعة القرآن الكريم.

فمعنى الفطرة هو أن مؤشرك مضبوط على المعاني الحقة هذه،

أثر الميثاق الأول أن مؤشرك ينضبط على شيء معين.

فإذا أتى واحد دون علمي وحرك مؤشر الراديو ما الذي سيحدث؟

سيتغير فيلتقط إذاعات أخرى.

إذا أنا رجعته مرة أخرى إلى الفطرة سيرجع يلتقط إذاعة القرآن.

هذا هو ملخص الفطرة وبعثة الأنبياء والرسل.

الإنسان الذي بقي على أصل فطرته بدون أن ينحرف يمين أو يسار، إذا أتاه نبي لابد في البداية أن يعرف أن هناك خالق للكون،

يأتيه نبي يقول له اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ..هنا يقول له "صدقت"

فالإرسال يأتي والمؤشر مضبوط.

أما إذا كانت الشياطين حركتّها كما في الحديث "فأبواه يهودانه وينصرانه ويشركانه" فهو مولود على الفطرة ومؤشره مضبوط ولكن أهله يلعبون ويغيرون في هذا المؤشر " فأبواه يهودانه وينصرانه ويشركانه".

وبالتالي عندما يأتيه نبي لا يستطيع أن يلتقط منه سريعاً،

تقوم معجزات النبي والآيات الشرعية وخطاب الأنبياء والوحي يعيد هذا المؤشر على الفطرة، أي يستقبل بصورة صحيحة،

وهذا هو معنى إقامة الحجة.

بعدها الأنسان يكون مخيّر بين شيئين، فهو جرّب أن يسمع إذاعة القرآن وجرّب أن يسمع الإذاعات الأخرى،

من أراد الله له الهدى سيكمل مع الرسل، ومن أَبَى يعود مرة ثانية إلى سيرته الأولى،

ولكن وقتها سيكون غير معذور ومآخذ.

إذن هذه هي آية الأعراف.

آية سورة الروم قال عز وجل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

حَنِيفًا: يعني المائل إلى الله المُعْرِض عن غيره،

لذلك يقول "في ساقه حنف" أي رجله معوجّة، الأحنف الذي ساقه مقوّسة فيها حَنَف،

فالحنيف أي المائل إلى الله مُعْرِض عن غيره، هذه هي فطرة الله التي فطر الناس عليها،

وقيل في تفسير هذه الآية "الزموا فطرة الله التي فطر الناس عليها"

هي الحنف أو الحنفية أو الميل إلى الله عز وجل والإعراض عن غيره،

وهناك فائدة هامة هنا وهي:

أن أصل سعادة القلوب أن الإنسان يعرف مولاه ويتعلق به سبحانه وتعالى.

معدتك عندما تجوع تشعر بالألم وليزول ذلك الألم تُطْعمها،

والقلب كذلك سعادته وشبعه واستقراره وسكونه أنه يعرف مولاه ويميل إليه ويتعلّق به.

فهناك بعض الناس تتعامل مع قلوبها بالخطأ فيظلمه ويغرقه في المعاصي،

فيتألم القلب ويبكي ويصبح جائع ومحتاج أن يأكل غذاءه،

وغذاء القلب هو معرفة الله سبحانه وتعالى.

فالإنسان يكون له طريق من الاثنين: إما أن يتوب ويرجع إلى الله عز وجل فيسكن ويسعد {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد:٢٨]،

أو يستمر في الغي فيشكوا، ولكي يسكت القلب لابد من المخدرات

ومخدرات القلب هي مزيد من المعاصي التي تلهيه،

فتجد واحد يضحك ملء فمه وهو غارق في المعصية، فهو يمثّل أنه سعيد لكنه ليس سعيد.

أيضاً هناك وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "ما من مولودٍ إلا يولَدُ على الفَطرَةِ، فأبواه يُهَوِّدانِه أو يُنَصِّرانِه أو يُمَجِّسانِه، كما تُنْتَجُ البهيمةُ بهيمةً جَمعاءَ، هل تُحِسُّونَ فيها من جَدعاءَ"

الراوي:أبو هريرةالمحدث:البخاري – المصدر:صحيح البخاري– الصفحة أو الرقم:١٣٥٨

خلاصة حكم المحدث:[صحيح]

لاحظ أنه لم يقل " أو يسلّمانه" لماذا؟

الفطرة ليست الإسلام وإلا للزم أن الطفل الذي ينصّر يصبح مرتد،

الفطرة تستلزم الإسلام وهذا هو الذي وضحه حديث عياض بن حمار المجاشعي وهذا هو أحد الأقوال أن قول بعض العلماء أن الفطرة هي الإسلام مردود عليها،

ولذلك قلت لك أن المسألة فيها بحث وأقوال متنوعة،

فحديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه وأرضاه يقول قال النبي ﷺ قال الله حديث قدسي "إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت"

الراوي:عياض بن حمارالمحدث:مسلم – المصدر:صحيح مسلم– الصفحة أو الرقم:٢٨٦٥

خلاصة حكم المحدث:صحيح

فاجتالتهم: أي حرفتهم.

إذن هذا هو الأصل.

الفطرة تدل على أن الله عز وجل هو خالق الكون سبحانه وتعالى.

إذن هناك أربعة أدلة يستدل بها على توحيد الربوبية.

{صِبْغَةَ اللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ }[البقرة:١٣٨]

والصبغة هي فطرة الله سبحانه وتعالى، وكثير من المفسرين من يفسرها بذلك.

المبحث الثاني

بيان أن الإقرار بهذا التوحيد وحده لا ينجي من العذاب

إن توحيد الربوبية هو أحد أنواع التوحيد الثلاثة كما تقدم؛

ولذا فإنه لا يصح إيمان أحد ولا يتحقق توحيده إلا إذا وَحَّد الله في ربوبيته.

لكن هذا النوعِ من التوحيد ليس هو الغاية من بعثة الرسل عليهم السلام.

أي الرسل بعثوا قطعاً لهذا النوع لكنه لمّا لم تقع فيه خصومة عند عامة الأمم، ولمّا كان العقل يدل عليه والحث يدل عليه والفطرة تدل عليه عند عامة الخلق كعامة الأمم فلم تكن الخصومة مع الأقوام في هذا النوعِ من التوحيد فكانت الغاية توحيد آخر وهو توحيد الألوهية وسيأتي معنا إن شاء الله.

فيقول:

لكن هذا النوعِ من التوحيد ليس هو الغاية من بعثة الرسل ولا ينجي وحده من عذاب الله ما لم يأت العبد بلازمه.

وهو توحيد الألوهية.

كلمة "لازمه" هنا كلمة هامة جداً وهي أن من أتى بتوحيد الربوبية كاملاً سيستلزم أن يأتي بتوحيد الألوهية فلو واحد فعلاً اعتقد بقلبه أن الله وحده هو المتفرّد بالضر والنفع والخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة واعتقد أن الله

عز وجل هو المتفرّد بأفعاله وأن الله متفرّد بالمِلك والمُلك التام سبحانه وتعالى،

واعتقد أن الله متفرّد بالأمر والنهي والسيادة والتشريع،

فسيعبد ربه حتماً.

لذلك نقول أن مشركين مكة أتوا بتوحيد الربوبية!!!

نقول لا، إنما أتوا ببعض معاني توحيد الربوبية.

هم خالفوا في أنهم {وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لا يَطْعَمُهَا إِلا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } [الأنعام:١٣٨]،

كل هذا تشريعات من عند أنفسهم،

فقال عز وجل في { مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ}

[المائدة:١٠٣]

إذن هم يشرّعون من عقلهم، وليس من عند الله تبارك وتعالى.

ويقول تعالى { وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}

[الأعراف:٢٨]

والفاحشة هي أنهم شرّعوا للناس أن يطوفوا بالبيت عراة،

قالوا لا تطوفون البيت بثوب لم تعصوا الله فيه،

إذن كان عندهم خلاف في قضية التشريعات،

وهذا كلام غير صحيح، أن العقل يقر ببعض معاني الربوبية،

إذن التعريف الصحيح يقول أن توحيد الربوبية كاملاً يستلزم توحيد الألوهية،

لكن المشركون أتوا ببعض المعاني أو بغالب معاني توحيد الربوبية.

ولذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم باللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[يوسف: ١٠٦]، والمعنى أي: ما يقر أكثرهم بالله ربا وخالقا ومدبرا ورازقا ومدبرا – وكل ذلك من توحيد الربوبية – إلا وهم مشركون معه في عبادته غيره من الأوثان والأصنام التي لا تضر ولا تنفع، ولا تعطي ولا تمنع،

وبهذا المعنى للآية قال المفسرون من الصحابة والتابعين.

وهذا تقرير للمنهج السلفي في الاستدلال،

والمنهج أي الطريق وليس الجماعة،

والمنهج هي طريقة التفكير والمنظومة الفكرية وليس الأفراد،

ولذلك عندما نقول أن المنهج معصوم لأن المنهج معصوم بعصمة أصوله،

فالقرآن معصوم والسنة معصومة وإجماع الصحابة معصوم،

تطبيق الأفراد يعتريه الخلل لكن المنهج هو الطريق والمنظومة الفكرية ليست فيها كلام.

المنهج يقول إنك إذا أردت أن تتحدث عن توحيد الربوبية تأتي بآية من كتاب الله أو حديث للنبي ﷺ وبعد ذلك ترى كيف فهم الصحابة هذه الآية،

ترى الصحابة ماذا علقوا على هذا الحديث وما هي قصة الحديث وكيف فهموه،

وبعد ذلك ما ترتب عليه من الأحكام.

فالآية ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم باللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾،

نريد أن نفهم ما الذي تقوله هذه الآية، لأننا قلنا أن هناك خلاف مع بعض

الناس فيقول من الذي قال لك أن مشركين مكة كانوا يقروا بالخلق والرزق، فالقرآن موجود وتفسير الآيات موجود لابن عباس .

قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾:

«من إيمانهم إذا قيل لهم من خلق السماء، ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال؟ قالوا: الله وهم مشركون».

أي يشركوا معه غيره في العبادة.

وقال عِكْرِمَة: «تسألهم من خلقهم ومن خلق السماوات والأرض فيقولون الله فذلك إيمانهم بالله، وهم يعبدون غيره».

وقال مجاهد: «إيمانهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره».

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: «ليس أحد يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمن

بالله ويعرف أن الله ربُّه، وأنَّ الله خالقُه ورازقُه، وهو يشرك به، ألا ترى كيف قال إبراهيم:

﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[الشعراء: ٧٥– ٧٧].

من يقول أن الاستثناء هنا استثناء حقيقي أو متصل سيستثني رب العالمين من كل المعبودات الباطلة،

لأنهم كانوا يعبدوا الله ومعه غيره.

التفسير الثاني يقول {إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ} أي إلا رب العالمين،

إذن الاستثناء منقطع.

والنصوص عن السلف في هذا المعنى كثيرة، بل لقد كان المشركون زمن النبيﷺ مقرين بالله ربا خالقا رازقا مدبرا، وكان شركهم به من جهة العبادة حيث اتخذوا الأنداد والشركاء يدعونهم ويستغيثون بهم وينزلون بهم حاجاتهم وطلباتهم.

مشركي مكة وقع عندهم عدة مشاكل مشكلة التشريع ذكرناها،

فالربوبية أيضاً وقع عندهم مشكلة في البعث؛ فكانوا يستبعدون أن يبعث الله

من يموت، وقالوا لن يبعث الله من يموت،

{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [النحل:٣٨]

فعندما يقول أحد لن يبعث الله من يموت هل هذا يؤمن بالربوبية!!!

أليست الربوبية هي أفعال الرب سبحانه وتعالى؟

أليس من أفعال الرب الإحياء والإماته؟؟

إذن هو عنده خلل في هذا الجزء.

إذن من ينكر البعث يصل إلى هذا المعنى.

كذلك إنكارهم لإفراده وحده بالعبادة، وستأتي معنا في الألوهية،

ولكن فيما يتعلق بالربوبية كان إنكار أن الله عز وجل يبعث من يموت.

يقول:

وقد دل القرآن الكريم في مواطن عديدة منه على إقرار المشركين بربوبية الله مع إشراكهم به في العبادة، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١].

كيف يُفْتنون بعد ذلك، كيف يؤفكون يهلكون ينقلبون!!!

كيف ينحرفون عن الحق بعد ذلك!!

سبحان الله!! هم الذين يقروا { لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} هو الذي خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[العنكبوت: ٦٣].

الحمد لله أن أنطق الكافرين بحجتهم، والحمد لله الذي أظهر آياته وبيانه للناس {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} لو فكّر بعقله سيعلم أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾

[الزخرف: ٨٧]،

وقوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾[المؤمنون: ٨٤- ٨٩].

هذه الآيات وغيرها توضح لك الصورة الذهنية التي كانت خطأ عندنا، فكان زمان في كتب الدين أو في الأفلام الإسلامية التي تعبّر عن حُكْم المرحلة المكيّة الأولى، يأتوا بناس جالسة أمام صنم كبير يسجدوا ويركعوا له ويتعاملوا له

ويتقرّبوا له، والذي شُرح لنا أو الصورة التي وصلت لنا أن هؤلاء الناس كانوا يظنوا أن الصنم هذا خلقهم، فكنا نقول أن هؤلاء الناس مجانين!!

هل يستطيع الصنم أو الأحجار يخلقوا!!

لا لم يحدث، لم يكن أحد من مشركي العرب يظن أن هُبل هذا خلقه!!

ولا يقول أن مناة يرزقه!! أبداً!!

فعندما كانوا يُسئلوا من الذي خلق يقولوا الله، وكان يسمّى فيهم عبد الله!!

ما الدليل؟ أبو النبي ﷺ كان اسمه عبد الله وكان في الجاهلية،

إذن كان عندهم هذا المعنى وكانوا يعلمون الحج وبعض العبادات،

ويُرْجع فيها لتاريخ العرب،

لو رجعنا فيها لتاريخ العرب قبل الإسلام سنعلم أنهم كانوا يعلموا الغُسل من الجنابة، أصل لفظة "جُنُب" مستعملة من قبل الإسلام!!

وغير هذا من المعاني.

إذن هم كانوا يعبدون الله ولكن ليس وحده فكانوا يعبدوا معه غيره أي "الشرك".

لذلك عندما قال لهم النبي ﷺ اعبدوا الله وحده قالوا {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً

إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ } [ص:٥].

فهناك حديث لحصين والد عمران رضي الله عنهما:

قالَ النَّبيُّ ﷺ لأبي : يا حُصَيْنُ ، كم تَعبدُ اليومَ إلَهًا ؟ قالَ أبي : سَبعةً ، ستَّةً في الأَرضِ ، وواحِدًا في السَّماءِ ، قالَ : فأيُّهُم تعدُّ لرغبتِكَ ورَهْبتِكَ ؟ قالَ : الَّذي في السَّماءِ ..."

الراوي:عمران بن الحصين المحدث:الترمذي – المصدر:سنن الترمذي– الصفحة أو الرقم:٣٤٨٣ خلاصة حكم المحدث:غريب

ولذلك كان وقت الجد عندما تهيج عليهم الرياح في البحر يقول تعالى:

{هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ}[يونس:٢٢]

إذن ساعة الجد { دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}،

وقبل ذلك يشركوا معه في العبادة لغيره سبحانه وتعالى.

إذن لم يكن مشركي مكة يقولوا هناك أحد خلقنا غير الله،

وهذا الكلام مفيد في أننا نقول أن لا إله إلا الله ليس معناها لا خالق إلا الله، هم كانوا يقولون لا خالق إلا الله، كانوا يقولون لا رازق إلا الله سبحانه وتعالى، ومع ذلك كانوا مشركين!!

فلم يكن المشركون يعتقدون أن الأصنام هي التي تُنزل الغيث وترزق العالم وتدبر شؤونه، بل كانوا يعتقدون أن ذلك من خصائص الرب سبحانه، ويُقِرون أن أوثانهم التي يدعون من دون الله مخلوقة لا تملك لأنفسها ولا لعابديها ضرا ولا نفعا استقلالا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ولا تسمع ولا تبصر، ويقرون أن الله هو المتفرد بذلك لا شريك له، ليس إليهم ولا إلى أوثانهم شيء من ذلك، وأنه سبحانه الخالق وما عداه مخلوق وأنه سبحانه الرب وما عداه مربوب، غير أنهم جعلوا له من خلقه شركاء ووسائط، يشفعون لهم بزعمهم عند الله ويقربونهم إليه زلفى؛

ولذلك قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى

اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، أي ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمر الدنيا.

ومع هذا الإقرار العام من المشركين لله بالربوبية إلا أنه لم يدخلهم في الإسلام بل حكم الله فيهم بأنهم مشركون كافرون وتوعدهم بالنار والخلود فيها واستباح رسوله ﷺ دماءهم وأموالهم لكونهم لم يحققوا لازم توحيد الربوبية وهو توحيد الله في العبادة.

وبهذا يتبين أن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده دون الإتيان بلازمه توحيد الألوهية لا يكفي ولا ينجي من عذاب الله،

بل هو حجة بالغة على الإنسان تقتضي إخلاص الدين لله وحده لا شريك له، وتستلزم إفراد الله وحده بالعبادة؛ فإذا لم يأت بذلك فهو كافر حلال الدم والمال.

المبحث الثالث

مظاهر الانحراف في توحيد الربوبية

لكي يتم توحيد الإنسان لابد أن يتعلم ما يَسْلم به من الشرك،
فأنت تتعلم ما هو التوحيد أولاً وهذا معنى إيجابي وجودي،
وبعد ذلك تتعلم ما هو الشرك حتى لا تقع فيه،
إذن هذين معنيين في دراسة العقيدة: فتتعلم الحق والأمر الوجودي الإيجابي
وبعد ذلك تتعلم الأمر الذي تتجنبه الأمر الممنوع حتى تتجنبه.

يقول:

مظاهر الانحراف في توحيد الربوبية

بالرغم من أن توحيد الربوبية أمر مركوز في الفطر، مجبولة عليه النفوس،
متكاثرة على تقريره الأدلة، إلا أنه وجد في الناس من حصل عنده انحراف فيه،
ويمكن تلخيص مظاهر الانحراف في هذا الباب فيما يلي:

أولا: جحد ربوبية الله أصلًا وإنكار وجوده سبحانه،
كما يعتقد ذلك الملاحدة الذين يُسندون إيجاد هذه المخلوقات إلى الطبيعة،
أو إلى تقلب الليل والنهار أو نحو ذلك ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

وهذا أمر ابتُلينا به منذ بداية الزمان هناك هذه الطائفة ولكنها قليلة جداً في البشر، وهم ما يسموا بطائفة "الدهريين"، وهم من ينكروا وجود الإله فيقولوا "إنما هي أرحام تدفع وأرض تبلع، نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وهو الليل والنهار"

وبعضهم يعتقد أن الكون له دورة كل ثلاثة وثلاثين ألف سنة تكمل دورة كاملة فتبدأ من البداية،

كلام عبارة عن خرافات وأساطير!!

لكن بدأ هذا الكلام يكون له تواجد ونظريات بل ظهر له دول تحميه منذ أن خرجت نظرية ماركس وهي نظرية المادية الجدلية،

وبدأ يُنَظّر لها الصراع الدائر في الطبقات المختلفة في أصل صراع مادي تفسر به الواقع والتاريخ، وصاحبه طبعاً مذهب اقتصادي،

وقامت الشيوعية على هذا الأساس،

فقامت الدولة في الاتحاد السوفيتي وكانت من القوى العظمى في العالم،

وصارت ترعى هذا الفكر الشاذ المنحرف وبثته في كثير من الدول التي حدث بها إما تواصل مثل مصر في الخمسينات والستينات،

كان التواصل قوي جداً مع الاتحاد السوفيتي،

أو بالاحتلال كما احتل الاتحاد السوفيتي الدول في أواسط آسيا والدول المسلمة المختلفة،

فأثر في الناس بالعقيدة الزائفة هذه وهي مسألة الإلحاد وإنكار وجود الله عز وجل، "لا إله والحياة مادة".

والحقيقة أن ماركس أسس نظريته على كلام دارون في كتابه " أصل الأنواع"، وهي نظرية التطور وأن البقاء للأصلح، وأن كل عنصر من عناصر هذه الحياة يحمل في داخله مكونات التناقض فيحدث هذا التناقض أو الصراع وبعد ذلك الأضعف ينتهي والأقوى يكمل، ويحدث تطور طبيعي أو نشوء وارتقاء إلى غيرها من تلك المصطلحات.

وهذه النظرية مردود عليها من الغربيين أنفسهم؛ يعني النصارى في أوربا وأمريكا وناس متخصصة ردت على هذه النظريات وأبطلوها وهناك ردود لبعض العرب أو المسلمين لكن للأسف عددها قليل وردودها وإمكانياتها قليلة بالنسبة للردود الأخرى.

المشكلة أن الآن بدأ يحدث المد الإلحادي مرة أخرى، وأيضاً لكي نكون منصفين من الأشياء التي تساعد على ظهور الإلحاد تشويه الدين، أنا أخرج أتكلم باسم الدين أعرض على الناس صورة سيئة جداً، وقاتمة ومُرة وأقول لهم هذا هو الدين الذي لابد أن تأخذوا به،

فبعض الناس يفكر ويتحرر ويقول أنا لا أريد هذا الدين،
فهذه أحد العوامل التي تساعد على انتشار الإلحاد الصورة المشوه التي تقدم عن الدين، وهذا يفسر لك لماذا العلمانيين أو لماذا الدول الغربية حريصة جداً على دعم التصوف في مصر،
يعني بم تفسر أن السفيرة الأمريكي يحضر مولد السيد البدوي!!!
لماذا؟؟ هل سيذكر السفير الأمريكي مع الناس التي تذكر!!
هو الصوفية كفكر إسلامي هذا هو التدين،
من يريد أن يبقى في هذا الدين فليبقى ومن يريد أن يفكر مستحيل أن يقتنع أن هذا الدين الذي أنزله الله،
إنكار الأسباب والخرافة والخزعبلات والدروشة مستحيل أن يكون هذا هو الدين!!
لذلك العلمانية تترعرع جداً لما يكون الدين عبارة عن مجموعة من الأمور المثيرة للتخلف والمناقضة للعقل والتي يعجز العقل عن أن يقبلها!!
مثلما حدث في أوربا والكنيسة،
فجاليليو يقول لهم أنا رأيت كذا في الفلك فيقولوا أنت تخالف الكتاب المقدّس !!! أعدموه!!!
هل يعلم الكتاب المقدس كل شيء !!

وللعلم الكتاب المقدس هم من كتبوه!!

فلا الكتاب له قدسيته فعلاً، ولا هم تركوا الناس تنشط!!

فبالتالي العلمانية نشأت على أن يشنقوا آخر ملك مع آخر قسيس،

الظلم للحكم الملكي والافتراء الذي كانوا فيه،

والخرافة والخزعبلات والأساطير والطغيان التي كانت عند الكنيسة.

أنا أقول أن ممكن أن يكون هناك بعض الناس من يُعيد إنتاج هذه الصورة وللأسف من المسلمين أو من المتدينين وللأسف ممن ينتسبون لهذا الاتجاه بهذه الصورة بدون قصد منه،

فيتعامل بصورة فعليا ليس هذا هو الدين ولكن يُصَدره للناس على أن هذا هو الدين، فهذا يكون سبب منفّر للناس للتدين.

فيراعى مثل هذا.

فنقول أن بعض هؤلاء الناس التي تنكر الله عز وجل يضطروا اضطراراً أنهم يضعوا بديل لهذا الإله، فبعضهم يقول أن ربه هو الصدفة،

نظرية اسمها "الصدفة"!!

فتخيل أن الصدفة هي التي أوجدت أول خلية أولية والصدفة هي التي جعلتها تتطور والانفجار الذي حدث خرجت منه الأرض، وهناك مياه ارتفعت وتكثّفت فعملت البحار،

وبعد ذلك الجبال، كل هذا بالصدفة!!

فواحد يرد على نظرية الصدفة فيقول أنتم تريدون أن تقنعونا أن هناك مطبعة حدث فيها زلزال فكل الحروف التي فيها تبعثرت،

ثم أعيد ترتيبها مرة أخرى لتكتب قصة حازت على جائزة عالمية في الرواية!!

هو هكذا بالضبط.

يعني حدثت هزّة عنيفة في المطبعة الحروف وقعت وتجمعّت بالصدفة فكتبت القصة من المقدمة إلى النهاية وأصبحت رواية عالمية وأخذت جوائز!!

هل هذا يُعقل!!

وأيضاً هناك نظرية أخرى تسمى "نظرية الضرورة"،

و"نظرية الطبيعة" وغيرها من الأشياء كلها انحرافات ليس لها ساق تقوم عليها وكلها مردود عليها لكن للأسف الشديد بدأت هذه الأشياء تكون لها منتديات ومواقع وموضة أن يكون الشخص ملحدا!! وللأسف بدأت تتواجد في بعض بلاد المسلمين.

ثانياً: المظهر الثاني من مظاهر الانحراف في توحيد الربوبية:

جحد بعض خصائص الرب سبحانه وإنكار بعض معاني ربوبيته، كمن ينفي قدرة

الله على إماتته أو إحيائه بعد موته، أو جلب النفع له أو دفع الضر عنه، أو نحو ذلك.

إذن أي واحد يُعطل صفة من صفات الله عز وجل، فعل من أفعال الله عز وجل وهي من الأفعال التي تفرّد بها الله فهذا خالف في الربوبية،
إذن مثلما نقول الذي وقع فيه مشركي مكة والذين أنكروا البعث.
{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا} [النحل:٣٨]

الانحراف الثالث: إعطاء شيء من خصائص الربوبية لغير الله سبحانه.

وهذه فيها عدة أنواع

-من يعتقد أن هذا الكون له أربع أقطاب يدبروا الكون، يسموه الأقطاب الأربعة،
يتجمعوا مع بعض ليلة في السنة ويدبروا هذا الكون!!
هذا اعتقاد عند منحرفي الصوفية وليس الصوفية كلهم،

وإلا فيوجد من التصوف بعض المعاني الحقة وهناك من سلكه ممن أراد الحق، ولكن غلاة المتصوفة أو منحرفيهم لديه هذه النقطة أن هناك أرباب أو أقطاب يدبرون هذا الكون.

هذا من مظاهر الانحراف.

-ومن مظاهر الانحراف أيضاً أن واحد يتعامل مع الجن ويعطيهم صفات الرب سبحانه وتعالى، أن الجن يستطيعوا أن يفعلوا أي شيء في الدنيا،

وأن الساحر يستطيع أن يفعل أي شيء في الدنيا،

وأن الكاهن يستطيع أن يفعل أي شيء في الدنيا،

فيعطي صفات الربوبية من قلب الأعيان ومالك الضر والنفع والخلق وغيره إلى غير الله عز وجل للساحر وغيره.

-الاعتقاد أن علم الغيب عند هذا الكاهن وأنه يفعل ويفعل أيضاً من خرق الربوبية،

-أيضاً من الشرك بالربوبية الشرك في قضية الملكية والحرية،

وهذه منتشرة بصورة كبيرة جداً في الدول الغير إسلامية وبدأ يتصدر منها هذا المعنى للدول الإسلامية،

فمثلاً من يقول: " أنا حر في نفسي"!!،

الناس التي تدافع عن حقوق الشواذ، لماذا يدافعوا عنهم؟؟

ما هو منهجه في الدفاع عنهم؟؟

الحرية وأن جسمه ملكه يفعل به ما يشاء، فهو حر يفعل ما يريد،

إباحة العلاقات المحرمة غير الشرعية فيقول هو حر أو هي حرة تفعل ما تشاء!!

فنقول أن هذا مناقض للمعنى الذي قلناه أن الله عز وجل له المِلك والمُلك التام، قال عز وجل: {أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ } [يونس:٣١]،

الله سبحانه وتعالى.

إذن مِلك السمع والبصر لله سبحانه وتعالى، حواسك ملك ربنا سبحانه وتعالى، وليست ملكك لتفعل ما تشاء بها، هذا فيما يتعلق بمسأله حقي وملكي!!

لا ليس حقك.

ثانياً التشريع من الذي يعطي الأشياء حقها؟

الله سبحانه وتعالى.

فتقول: أنا حر، فأقول: كيف أنت حر،

هناك تشريعات لا يصح أبداً أن تتجاوز هذه التشريعات.

إذن هذا أيضاً من الانحراف في توحيد الربوبية مسألة الانحراف في مسألة المِلك،

وهذا ما ورد في سورة الكهف صاحب الجنتين كان يقول: {مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا} [الكهف:٣٥]،

يعني هو يقول أنها ملكي لن يستطيع أن يفعل أحد بها شيء فأنا لي الملك الكامل عليها، فهذا خلل في مسألة الربوبية.

-كذلك من الخلل في توحيد الربوبية سنّ تشريعات مخالفة لحكم الله سبحانه وتعالى، ففي سورة الأنعام نهى الله عز وجل في أكثر من ربعين يعني نصف حزب كلها آيات تتحدث عن تسفيه فعل المشركين في تحريم أشياء بدون أن يأذن الله عز وجل لهم.

والله سبحانه وتعالى نهى عليهم أن شرّعوا من عند أنفسهم أن الله أباح لهم ذلك،

حتى في سورة الأعراف عندما قال تعالى:

{وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} [الأعراف:٢٨]

وقتل البنات، وغيرها من الأفعال الباطلة التي كانوا يفعلوها وينسبوها كتشريع.

إذن لا يجوز لأحد أن يشرّع إلا الله سبحانه وتعالى،

والذي من حقه فقط أن يعطي للأفعال أوصافها بالحل والحُرمة الله سبحانه وتعالى.

قال عز وجل {أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ} [الأعراف: ٥٤].

كما أنه لم يخلق إلا الله فليس من حق أحد أن يحكم إلا الله عز وجل.

طالما أن الخالق واحد إذن الحاكم والمشرّع واحد سبحانه وتعالى.

وقضية التشريع هنا قضية خطيرة جداً،

أن من يحكم بغير ما أنزل الله بيسّن للناس تشريعات مخالفة لتشريعات الله عز وجل نَصَب نفسه رباً مع الله سبحانه وتعالى.

قال عز وجل ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ [التوبة: ٣١].

وروى الترمذي عن عدي بن حاتم أنه قال:

أتيتُ النبيَّ ﷺ وفي عُنقي صليبٌ من ذهبٍ (كان نصرانيا) فقال يا عديُّ اطرَح هذا الوثنَ وسمعتُه يقرأ في سورة براءةَ { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ } فقلتُ إنا لسنا نعبدُهم قال أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلُّوا لهم شيئًا استحلُّوهُ وإذا حرَّموا عليهم شيئًا حرَّموهُ فتلك عبادتُهم

الراوي:عدي بن حاتم الطائي المحدث:الألباني – المصدر:السلسلة الصحيحة– الصفحة أو الرقم:٧/٨٦١ خلاصة حكم المحدث:علة الحديث هي جهالة غطيف بن أعين

إذا علمت المنظومة التشريعية عند النصارى وعند اليهود ستفهم الآية،

النصارى يكون عندهم أن الخنزير حرام، فيجتمعوا البطارقة وهم من يقولوا أنهم يأتيهم تواصل مع الروح القدس،

(الحمامة البيضاء) فيأتي ويحل ويحرم،

ويقول أنا أملك هذا الحق حق التشريع، بعد أن كان الخنزير حرام أصبح مباح،

والذي فعل هذه الفعلة السوداء هو (شاؤل) أي: بولس

إذن هو من يشرع لهم، هناك أشياء تستخف بالعقل حتى عام ١٩٦٧ كان عند الكاثوليك المسئول عن دم المسيح هم اليهود،

وبعد ذلك أصدروا وثيقة يبرأوا فيها اليهود من دم المسيح!! على الرغم من أن هذا خبر

فيقولوا نحن نملك هذا الحق أن بعد أن تكون الخمرة محرمة يبيحها،

أو الختان يكون واجب يمنعوه وغير هذا.

فلذلك النبي ﷺ يقول له " كانوا إذا أحلُّوا لهم شيئًا استحلُّوهُ وإذا حرَّموا عليهم شيئًا حرَّموهُ فتلك عبادتُهم"

إذن عندما يأتي أحد ويقول لك أن هذا الشيء حلال وتصدق أنه حلال وتتعبد لله أنها حلال مع أنها في الأصل حرام، إذن هذه تسمى ربوبية.

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾

إذن هذه من مظاهر الانحراف ومن مظاهر شرك الربوبية.

يقول:

فمن اعتقد وجود متصرف مع الله عز وجل في أي شيء من تدبير الكون من إيجاد أو إعدام أو إحياء أو إماتة أو جلب خير أو دفع شر أو غير ذلك من معاني الربوبية فهو مشرك بالله العظيم.

ويضاف عليهم مسألة الحريات ومسألة الإشراك في التشريعات والحكم بين الخلق.

نقف هنا إن شاء الله ونستكمل المرة القادمة

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.